الفصل الثاني

إسرائيل المنتصرة تبدو مهزومة

المبحث الأول

حائط الصواريخ ملحمة سقوط أسطورة الذراع الطولي لإسرائيل

فى ٩ مارس ١٩٦٩ عندما بدأت أشعة الشمس الأولى تزيح بقايا الظلام من رمال الصحراء بدأت حرب الاستنزاف، كان الرئيس المصرى جمال عبدالناصر قد أعلن قبل ليلة واحدة فقط أنه مستعد لأن يضحى فى سبيلها بمليون جندى، ودوت أصوات القنابل وهدير المدافع حتى غطت السماء.

بعد معركة رأس العش قررت قيادة الأركان الإسرائيلية برئاسة الجنرال حاييم بارليف الرد للانتقام من المصريين فبدأت العملية(بوكسر) بهجوم عنيف من الجو أصاب بعض بطاريات المدفعية ومواقع الدبابات المصرية.

فى مطلع شهر يوليو ١٩٦٩ أصدرت قيادة سلاح الجو أمراً تنظيمياً صنف تحت بند سرى وعاجل يقضى بتكوين أول سرب فانتوم فى سلاح الجو الإسرائيلى فى قاعدة (حاتسور) تحت رقم ٢٠١، على أن يكون موعد الإنتظام فى ١٥ يوليو، والغاية من تكوين السرب هو تشغيل الطائرات بغرض الدفاع الجوى، والهجوم على أهداف برية وبحرية.

كانت الصحف الاسرائيلية تطالبت المواطنين الإسرائيليين بأن يوجهوا انتباههم إلي حدث جلل فطائرات الفانتوم العملاقة أغلى طائرة فى العالم ستحط رحالها في إسرائيل

فى ٥ سبتمبر ١٩٦٩، وقبل لحظات من غروب شمس يوم الجمعة، وأمام حشد من الجماهير المتحمسة هبطت أول أربع طائرات فانتوم فى قاعدة (حاتسور الجوية) وعلى الفور أزيل منها شعار القوات الجوية الأمريكية، ووضع مكانها شعار القوات الجوية الإسرائيلية.

قبل ذلك بثلاثة أسابيع مثلت مجموعة التأهيل فى السرب ٢٠١ التى عادت من الولايات المتحدة والمكونة من الرائد شموئيل حيتس قائد السرب، ويورام أجمون نائب أول قائد السرب، وإيتسيك فير نائب ثانى قائد السرب، ومناحيم عينى قائد طائرة، وياثير دافيد نائب قائد الطائرة. وانضم إليهم خمسة آخرون من السرب ٦٩ الذين كانوا فى الولايات المتحدة أيضاً.

حلق الطيارون وبدأوا التدريب، وسرعان ما عاودهم الحنين إلى طائرة الميراج.

هذا المسخ الأمريكى (الفانتوم) هدر وارتج، وأعطى إيحاء بأنه مكبس ضخم يدفع جزيئات جوية متمنعة، ويخرج من محركيه شريط دخان أسود، يمكن تحديده من بعيد. فما هو الحل لهذه الصفقة الغبية؟

اكتشفوا بعد ذلك أنه بفضل حسابات الملاحة والقصف الأفضل على الساحة، فإن طائرات الفانتوم تستطيع فعل كل شيء قصف جو جو أو جو أرض، ليلاً ونهاراً بأسرع ما يمكن وبأعلى ارتفاع ممكن وبأكبر قدر من التسليح. فى تلك اللحظة بدأوا يحبون الفانتوم ويقدرونها.

فى بداية شهر نوفمبر خرج قائدا سرب الفانتوم فى مهمة استعراض للقوة، اجتازا قناة السويس على ارتفاع منخفض، وعبرا المناظر الصحرواية إلى الوادى الأخضر والقوارب الشراعية البيضاء فى نهر النيل، حتى وصلا إلى ضواحى القاهرة، وها هى أهرامات الجيزة أسفل منهما.

رأى ملاح الكابينة الخلفية يائير دافيد سهماً يدفع دواسة المخنق إلى اليسار والأمام فعرف أن الحوارق الخلفية بدأت فى العمل، وشعر كيف تزيد الطائرة من سرعتها حتى وصلت إلى سرعة أعلى من الصوت، وفهم أنه فى هذه اللحظة وخارج قمرة الطيار المعزولة عن الوجود شعر سكان القاهرة بدوى اختراق حاجز الصوت، وتحطمت الآلاف النوافذ. عندئذ حدث يائير نفسه بأن هذا التدريب الصغير ربما يسهم فى إسكات المصريين للأبد.

وخلال أسبوع واحد أثبتت الفانتوم أنها قادرة على أن تكون صاحبة اليد العليا فى أجواء القاهرة، وتعرف كيف تسقط طائرات العدو مثل الميراج عند الحاجة يجب أن نفكر خارج الصندوق.

هكذا فكر قادة إسرائيل، "إن الطريقة الوحيدة التى ستدفع الشعب المصرى إلى التدخل الفعال وربما تؤدى إلى انتهاء حرب الاستنزاف هى شن الحرب داخل بيته المحصن" [1]

كانت هذه هي بدايات أجواء حرب الاستنزاف إسرائيل لها اليد الطولي في المجال الجوي وبكل سهولة تستطيع الوصول إلى العمق الجوي المصري! فماذا

---

[1] كتاب (باسم السماءالسرب الأول فى حرب يوم الغفران) للمحاضر والباحث العسكرى الإسرائيلى إفيرام باركاى ترجمة دار الشروق

فعل ناصر لمجابهة هذا التحدي الأعظم؟ وكيف استطاعت قوات الدفاع الجوى المصرية التغلب علي طائرة السكاى هوك والميراج والفانتوم الخارقة؟

وكيف استطاعت مصر تحييد صواريخ (شرايك) لتسقط بعيدة عن أهدافها؟ وكيف تمكن مقاتلو الدفاع الجوى التغلب إعاقة الطائرات الإسرائيلية التي استخدمت وسائل الإعاقة والشوشرة سواء كان ذلك من مصادر أرضية أو من المستودعات الموجودة بنفس الطائرات المهاجمة؟

وكيف نجحت مصر في إفشال قدرة إسرائيل على استخدام الطائرة بدون طيار المعروفة ب(RPVS)؟

وكيف نجحت مصر في إسقاط الطائرة الإسرائيلية الأقوى (استرتوكروز) التى كانت تمثل أهمية كبرى للقوات الإسرائيلية؟

قبيل وفاة الرئيس عبد الناصر أتمت مصر بناء حائط الصواريخ الشهير وأتمت خطط العبور وتحرير الأرض العربية كلها وليس تحريك الموقف.

كانت العقبة الكؤود أمام الجيش المصري تفوق الطيران الإسرائيلي، لذلك قرر ناصر محاكاة الخطة الفيتنامية ببناء سلسلة من قواعد صواريخ سام الروسية المضادة للطائرات، وبعدها تشكل هذه الصواريخ حائطاً صلباً لمنع اقتراب الطيران الإسرائيلي لمسافة عشرة كيلومترات.

ثم تنقل تلك القواعد للأمام لمسافة عشرة كيلومترات أخرى وهكذا.

ولكن الحليف الأمريكي حاول إفساد الخطة المصرية فأمد العم سام تل أبيب عام ١٩٦٨ بطائرات إف ٤ (فانتوم).

مما ضاعف من مسافة وقوة النيران الإسرائيلية.

لم تهداء إسرائيل بل جن جنونها فصارت تضرب بين عامي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ القواعد الصاروخية المصرية وهي قيد الإنشاء حتي تضمن سيطرتها الجوية علي سماء مصر.

اشتد وطأة القصف الأسرائيلي المصحوب بأعمال الأعاقة الرادارية وعلى كتائب الصواريخ في أواخر عام ١٩٦٩. نظراً لتزويد واشنطن لتل أبيب بطائرة كانت اخر ما انتجه المارد الأمريكي بأول طائرة تستخدم انظمة الحرب الألكترونية وكانت طائرة مزوده بتجهيزات الكترونية حديثه جداً من حواسيب ورادارات لأغراض متعدده وأجهزة استشعار للصواريخ المعادية المنطلقة تجاه الطائرة مما يسمح للطيار بأخذ مناورة حادة مما يفجر الصاروخ وهو يطارد الطائرة لأنه من المعروف أن الصاروخ لا يستطيع عمل مناورة تكتيكيه حاده بل سينفجر بالجو

ومما زاد أعباء القتال على المصريين تركيب الأمريكان جهاز أمريكي على الطائرات الفانتوم كلف بضعة ملايين من الدولارات الأمريكيه بسبب هذا الجهاز اطلق عليها الطائرة الأمنه.

كان الدفاع الجوي المصري يحاول محاولات مستميتة ففتح النسق الأول من كتائب الصواريخ لتغطية الأعمال الحربية فوق قناة السويس وكان ذلك في يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٩.

وفي نفس الشهر في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ بدء الطيران المعادي بقصف طويل من الساعة الثامنه صباحاً وحتى الساعة الخامسة مساءً بدوام رسمي كامل فوق رؤوس المصريين كان القصف متواصل في ذلك اليوم بفواصل زمنية بسيطه من دقيقه الى دقيقتين بواسطة قنابل تزن الواحد ٢٠٠٠ رطل واخرى

توازي ١٠٠٠رطل ورغم ذلك كانوا المصريين عند الموقف وزادوا من تحديهم لهذا العدو الأهوج الجبان.

الوقت ضيقاً والطيران الأسرائيلي يقصف الدشم التي تبنى تمهيدا لنصب الصواريخ في مهدها ولم يكن أمام رجال الدفاع الجوي في هذه الظروف العصيبة الا مواجهه العدو ونصب الكمائن والأشتباك في شجاعة نادرة فتم إسقاط طائرة هنا وطائرة هناك حتى تاريخ ١٩٦٨/٦/٣٠ وتمكن الدفاع الجوي من فتح نسقه الأول في مواقع مجهزة لحماية بناء الدشم والقواعد القريبة من القناه وصمد خط الدفاع الجوي المصري صمود أسطوري واستعوض خسائره وظل صامداً يقاتل ببساله منقطعة النظير.

وفي شهر يوليو من سنة ٧٠ استمرت الهجمات الأسرائيلية والقتال الأسطوري الذي كان يجابه المصريين به عدوهم مما حدا بالأسرائيلين بأستبدال طائرات (إسكاي هوك) التي كانت وجبات إفطار وغداء وعشاء للمصرين ودفع بدلاً منها الطائرة المتطورة(الفانتوم) الأمريكية لتوسيع أعمال القتال لكن ضباط الدفاع الجوي لاحظوا ندرة إصابة هذه الطائرة التي كانت مجهزة بأجهزة تحذير أمريكية لم تكن معروفه في ذلك الوقت.

في أوائل شهر يوليو من العام ١٩٧٠ كان رجال وضباط من عمليات الدفاع الجوي و الحرب الألكترونية(وحدة كانت منشئة حديثاً لاستجواب الأسري الطيارين في السجن الحربي و مستشفى المعادي) وكان هدف الأستجواب واضحاً معرفة الخصائص الفنية والتكنولوجية (للفانتوم) وبعد إصرار من المحققين دهشوا لسيل المعلومات التي قدمها الأسرى الإسرائيليين خاصة عن جهاز الأنذار المبكر الرهيب.

وبعد دراسة شبة كاملة عن خصائص للمحطات الصواريخ الألكترونية التي حصلوا عليها بالأستطلاع الألكتروني

ولتبسيط الأمر عندما يطلق صاروخ على الطائرة الفانتوم تضيئ لمبة حمراء تحذيرية أمامه فيتعين ان يأخذ مناورة حادة أكبر من قدرة الصاروخ على المناورة فينفجر ولا يحدث أضرار

مما حدا برجال الدفاع الجوي بتحدي هذه التكنولوجيا فخرجوا بفكرة نبتت من إراده وعبقرية وتصميم مصري خالص وهو تعديل فني بسيط على الصواريخ وتم التطبيق بفضل معلومات الطيارين الصهاينة لتنطلق بعدها في سماءالمعركة الصواريخ الأمنة لتأكل الفانتوم صاحبة التحذير الجهاز المسمى بأغنية SAM SONG إلى جهاز مضلل بفضل الله ثم بفضل المهندسيين المصريين.

بلغ حصيلة ذلك الأسبوع مايوازي ٢٤ طائرة فانتوم مما حدا بالصحافة ان تسميه أسبوع تساقط الفانتوم.

فزع القادة الأسرائيليون من إسقاط طائراتهم الحديثة وأدركوا أنهم بحاجة لإلتقاط الأنفاس واستصرخوا حلفائهم الأمريكان [١]

وكان الحليف الأمريكي عند الموعد فطرح مبادرة روجرز.

بدأت مفاوضات وقف إطلاق النار ،بينما سعى عبد الناصر لمد أمد التفاوض لمدة ٤٠ يوماً حتى تم الإنتهاء من بناء حائط الصواريخ ،بعدها وافق الرئيس عبد الناصر علي مبادرة روجرز بعدما نجحت مصر في تحريك حائط

---

[١] موقع المنتدي العربي للدفاع والتسليح

الصواريخ حتى حافة قناة السويس لتقطع القاهرة الذراع الطولي لتل أبيب وتحرم إسرائيل من قوتها الاولي وتشل حركة الطيران الإسرائيلي في الهجوم على مصر غرب قناة السويس بعدما استباح الصهاينة

سماءالقناة بعد نكسة٦٧ وانتقلوا إلى مرحلة الهجوم المباشر ضد أهداف مدنية مصرية بعدما وافقت لجنة الدفاع والأمن القومي الإسرائيلية في٦ يناير ١٩٧٠ علي قصف العمق المصري بهدف إضعاف القيادة المصرية من خلال استهدافهم لأهداف مدنية فأغارت الطائرات الإسرائيلية على وادي النيل ومحافظة الشرقية ومدرسة بحر البقر ومحافظة القليوبية وضرب مصنع أبوزعبل ومصنع الصلب فى مسطرد، مطار غرب القاهرة في جريمة مخزية أسفرت عن إستشهاد ٣٠ طفلا و٣٦ جريحا، وغيرها من الأهداف المدنية بكل خسة وندالة.كانت دماء هولاء الأبرياء المدنيين وخاصة الأطفال حافزا لرجال القوات المسلحة وعناصر الدفاع الجوي على سرعة إكمال مهمتهم ببناء حائط الصواريخ. وتحولت قوات الدفاع الجوي المصري إلى أسلوب جديد هو أسلوب الكمائن.

شهدت القوات الجوية عملية بناء غير مسبوقة شملت تخرج ١٢ دفعة من الطيارين.

١٠ دفعات من الملاحين.

تجهيز هندسي لمختلف المطارات والقواعد الجوية.

إنشاء مطارات جديدة في كل أنحاء مصر.

وتعددت صور الإنشاءات بين دشم محصنة، ودشم ذخيرة، ومراكز قيادة، وبلغ حجم الإنشاءات في القوات الجوية ثمانية أضعاف الهرم الأكبر، وتضاعفت ساعات الطيران للطيارين مرتين ونصف، وتضاعفت طلعات رمي الطيارين بالقنابل والصواريخ مابين ١٨ الي ٢٠ مرة.

كانت عملية إعادة بناء قوات الدفاع الجوي تمثل في حد ذاتها قصة بطولة بمفردها حيث كان لدينا فقط بضعة مدافع ورشاشات مضادة للطائرات، وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ، وقليل من أجهزة الرادار.

حاولت إسرائيل تدمير إرادة مصر فقامت بغارات جوية وصل عددها من يوليو حتي سبتمبر عام ١٩٦٩ حوالي ١٠٠٠ غارة في العمق ضد بعض الأهداف المدنية لتوسيع رقعة القتال.

ليتخذ الرئيس جمال عبد الناصر قراراً ببناء مواقع محصنة لصواريخ الدفاع الجوي.

ثم قراره الأخطر إقامة حائط الصواريخ علي امتداد الجبهة الغربية لقناة السويس، ليصل حجم الأعمال الهندسية في حائط الصواريخ ١٢ مليون متر مكعب أعمال ترابية، و مليون و نصف مليون متر مكعب من الخرسانة العادية، ومليونين خرسانة مسلحة، ٨٠٠ كيلو متر طرق أسفلت، ٣٠٠٠ كيلو متر طرق ترابية، و قدرت تكاليف حائط الصواريخ بحوالي ٧٦ مليون جنيه، وبعد عملية إعادة البناء تم تنفيذ العديد من العمليات القتالية كبروفة طبق الأصل لعملية العبور ففي سبتمبر عام ١٩٦٨ قامت المدفعية المصرية بتدمير بطاريات الصواريخ أرض / أرض قصيرة المدى التي إقامتها إسرائيل في مواجهة مدينتي الإسماعيلية والسويس وبقية القرى بمنطقة القناة، ورغم محاولات إسرائيل التدخل بقواتها الجوية ضد المدفعية المصرية فان عمليات القصف المدفعي تواصل جنباً الي جنب مع عمليات العبور والتي تزايدت بشكل كبير منذ يونيو ١٩٦٩.

وفي يوليو ١٩٦٩ قامت قوة مصرية بعملية عبور من منطقة بور توفيق و اقتحمت موقعاً إسرائيلياً و قتلت و جرحت نحو ٤٠ جندي و استمرت في الموقع لمدة ساعة بعد أن دمرت ٥ دبابات إسرائيلية و مركز مراقبة و عادت بأول أسير إسرائيلي.

وفي التاسع من ديسمبر عام ١٩٦٩ قامت طارة ميج ٢١ مصرية بإسقاط أول طائرة فانتوم إسرائيلية.

وفي يوليو ١٩٧٠ تمكنت صواريخ الدفاع الجوي في أسبوع واحد من إسقاط ١٧ طائرة إسرائيلية فيما عرف بأسبوع تساقط الطائرات الفانتوم الإسرائيلية [١]

خسرت إسرائيل خلال معارك الاستنزاف ثلاثة أمثال ما لحقها من خسائر بشرية خلال حرب ١٩٦٧.

فقد فقدت خلالها ٤٠ طياراً.

٢٧ طائرة قتال ومدمرة.

٧ زوارق وسفن إنزال.

١١٩ مجنزرة.

٧٢ دبابة.

٨١ مدفع ميدان وهاون.

مقتل ٨٢٧ جنديا وضابطاً.

إصابة ٢١٤١ فرداً [٢]

---

[١] عبد الناصر وحرب الاستنزاف عمرو صابح

[٢] نفس المصدر السابق

وبالرغم من نجاح حرب الاستنزاف لم تفكر مصر في دخول الحرب إلا بعدما بنت حائط الصواريخ المضاد للطائرات.

وقبل سريان الاتفاق بسويعات قليلة، نجحت قيادة الدفاع الجوي في القفز، بتجميع الصواريخ إلى مواقع متقدمة غربي القناة، دفعة واحدة، وتدعيمها بكتائب إضافية من العمق. أتاحت نشر مظلة الدفاع الجوي إلى مسافة ٢٠ كم شرقي القناة.

كانت تلك الفترة تمثل قمة التلاحم بين الشعب وجيشه، حيث كان المهندسون والعمال من شركات المقاولات المصرية الكبيرة يقومون ببناء مواقع تمويه لمحطات الصواريخ، لإلهاء إسرائيل عن المواقع الحقيقة لها، كان هؤلاء العمال والمهندسون يعرفون أنهم سيكونون هدفاً سهلاً لغارات العدو الذي كان يستخدم كل قواته لمنع بناء محطات الصواريخ، ولكنهم مصرون علي الذهاب لعملهم ويواصلون العمل، فيسقط منهم الشهداء والجرحي، نتيجة غارات العدو، ويحمل زملاؤهم جثامين الشهداء لدفنها، ويعوودون لمتابعة العمل في سرعة وتضحية لا توصف" [١]

في فبراير ١٩٦٨، تشكلت قوات الدفاع الجوي المصري، كقوة رابعة بعد أن كانت بطاريات الصواريخ تابعة للقوات الجوية، وبدأت ملحمة بناء قوة ردع تمنع الغارات الإسرائيلية في العمق المصري وتتصدي للهجمات الجوية المتكررة على مواقع قواتنا غرب القناة، بعد أن أدت هجمات القوات المصرية

---

[١] ٣٠ يونيو أسطورة حائط الصواريخ – هانى بدرالدين في حوار صحفي لجريدة الأهرام مع العميد أركان حرب محمد سمير المتحدث العسكري.

إلى خسائر كبيرة للقوات الإسرائيلية في شرق القناة خلال حرب الاستنزاف. واستخدمت إسرائيل مئات الطائرات، لقصف القوات على طول جبهة قناة السويس، وأسقطت آلاف القنابل والصواريخ، بأمل إيقاف حرب الاستنزاف، وفي المقابل لم تكن مهمة الدفاع الجوي سهلة بإمكانات محدودة لم تتجاوز ست كتائب صواريخ (سام ٢)، وعدد من وحدات المدفعية المضادة للطائرات. وبالفعل نجحت وحدات الدفاع الجوي في حرمان القوات الجوية الإسرائيلية من تحقيق أهدافها، حتى منتصف عام ١٩٦٨. ومع تصاعد حرب الاستنزاف على الجبهة، تصاعد القصف الجوي المعادي، خلال الفترة من يوليو حتى ديسمبر ٦٩، ضد وحدات الدفاع الجوي بالجبهة. فأُسقطت عليها مئات الأطنان من القنابل. واضطرت القيادة لسحب وحدات الدفاع الجوي ووضع خطة جديدة للدفاع الجوي عند القناة تركزت في إعادة تمركز الوحدات الجديدة، في إطار خطة خداع متكاملة، تمنع طيران العدو من التدخل ضدها، في أثناء اتخاذها أوضاعها الجديدة. كذلك تم تحديد الأهداف الحيوية في مصر، ووضع أسبقية لكل منها، ثم النظر إلى هذه الأهداف من وجهة نظر العدو، وتحديد مدى تعرضها للهجوم الجوي المعادي.

استطاعت قوات الدفاع الجوي أن توفر ثلاث عشرة كتيبة (سام ٢)، وثلاث كتائب (سام ٣)، لكن هذا العدد لم يحقق إلا دفاعاً هشاً لايستيطيع حماية الجبهة. واستقر الرأي على تعويض ذلك بخداع القيادة الإسرائيلية، وإيهامها بأن عدد الوحدات أكبر من الحقيقة بالتوسع في استخدام المعدات الهيكلية، والقيام بالمناورة بين الحين والآخر، ودفع الكمائن في أكثر من موقع في وقت قصير.

ملحمة الكمائن كانت قصة أخرى لبطولة ملحمية لرجال الدفاع الجوي فالحجم الكبير لمعدات الصواريخ سام ٢، مثل عقبة أمام تحريكها المستمر وفقا للخطة. وخلال أقل من أسبوع تم الإعداد للكمين الأول، ونجح الضباط وضباط الصف والجنود، في تقليل زمن تجهيز كتيبة الصواريخ للتحرك والاشتباك، إلى أقل من نصف الزمن.

ومع نهاية يوم ٢٣ أبريل، اكتمل إعداد كتيبتين لتنفيذ مهمة الكمين الذي استهدف طائرة إسرائيلية شرق القناة، وأطلقت كل كتيبة صاروخاً ضدها ودمرت الطائرة الإسرائيلية بواسطة الصاروخ الأول، ونجح الكمين الأول. ثم نفذ الكمين الثاني، ونجح في إسقاط طائرة أخرى، ثم الكمين الثالث. ونجح أسلوب الكمائن، بالفعل، في اصطياد بعض الطائرات الإسرائيلية، ولكنه لم يكن بديلاً لتجميع الدفاع الجوي المتماسك المفترض إنشاؤه على الجبهة خاصة بعد أن مدت إسرائيل هجماتها للعمق المصري.

ملحمة أخرى تجسدت في كيفية مجابهة التطور التكنولوجي لطائرات الفانتوم التي كانت بها أجهزة الإعاقة الإيجابية والسلبية، وفوق ذلك كان بها أجهزة استطلاع لإنذار الطيار لحظة دخوله في مجال إشعاع أجهزة الدفاع الجوي المصري، ولحظة انطلاق الصواريخ سام. عكف القادة والضباط والمهندسون المصريون على دراسة طرق التغلب على هذه المشكلات. وتوصلوا لإطلاق صواريخ مضللة للرادار حتى يمكن إصابة الفانتوم بصواريخ سام٢ و سام ٣ المصرية.

إدخال كتائب الصواريخ للجبهة وسط التفوق الجوي الإسرائيلي والمساعدات الأمريكية ملحمة تستحق التوقف والتأمل بإجلال للتضحيات التي قدمها مقاتلو الدفاع الجوي، فلم يكن أمامهم إلا خيارات صعبة تمثلت

في تمركز هذه الكتائب في الجبهة، في مواقع غير محصنة، حيث لا يمكن إنشاء مواقع محصنة، دون حماية من كتائب الصواريخ. وكان الحل بتنفيذ التمركز ثم التحصين عن طريق الوثبات التدريجية بدلا من القفز مرة واحدة إلى مواقع أمامية غير محصنة. وبالفعل تم إنشاء مواقع النطاق الأول شرقي القاهرة.

ثم إنشاء ثلاثة نطاقات جديدة، تمتد إلى منتصف المسافة، بين القاهرة والقناة. في زمن قياسي، فخلال ليلتين فقط أُنشئت التجهيزات الميدانية لعدد ٢٤ قاعدة صواريخ، وجهزت بوسائل الاتصال، وطرق المناورة إليها.

بحلول نهار٨ أغسطس ١٩٧٠ استطاعت قوات الدفاع الجوى أن تنشئ نظام دفاع جوى قوياً غير قابل للاختراق على الشاطئ الغربى من قناة السويس، هذا الحائط الذي كسر أسطورة القوات الجوية الإسرائيلية التى لا تقهر ويحدث بشكل مباشر توازن القوى الجوى بين مصر وإسرائيل، بل نستطيع القول أن مصر أصبح فى إمكانها عبور قناة السويس وإدارة معركة هجومية فى سيناء لتحريرها من الاحتلال.

مع آخر ضوء يوم ٢٨ يونيو ١٩٧٠، بدأ الإعداد للمرحلة الأولى من الخطة "أمل"، لدخول الصواريخ أرض/ جو المصرية، إلى جبهة القناة.. ونجحت وحدات الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات المصاحبة لها، في الوصول إلى مواقعها. ثم بدأ التجهيز للاشتباك. ولم يشعر الإسرائيليون بهذه القفزة الخطيرة، ولم تقم إسرائيل بأي رد فعل خلال نهار٢٩ يونيو. ومع آخر ضوء من اليوم نفسه، احتلت المجموعة الثانية من الوحدات مواقعها الجديدة شرق المجموعة الأولى.

وفي صباح ٣٠ يونيو، كانت الصواريخ المصرية في مواقع تتيح لها توفير الوقاية للقوات المصرية على مسافة ٣٠ كم غرب القناة.

كان صباح ٣٠ يونيو موعد إعلان سيطرة بطاريات الصواريخ المصرية على ضفتي القناة وانتهاء أسطورة ذراع الطيران الإسرائيلي التي آذت المصريين جيشاً وشعباً بغاراتها الهمجية على المصانع ومدارس الأطفال ووحدات الجيش غرب القناة.

وفي العاشرة والنصف من صباح يوم ٣٠ يونيو، رصدت أجهزة الرادار طائرة استطلاع تحلق على ارتفاع ١٢ كم، وبمجرد أن دخلت مدى النيران، أطلقت عليها إحدى كتائب صواريخ التجميع نيرانها، ولكن الطائرة أفلتت. وانتظر الجميع رد فعل إسرائيلي عنيف.

وفقا للسيناريو المألوف للرد، فالجانب الإسرائيلي سيوجة حشداً من طائرات الفانتوم وسكاي هوك والميراج، مدعما بجميع وسائل الإعاقة الإلكترونية الإيجابية والسلبية، تحميه مجموعة أخرى من المقاتلات الاعتراضية، ويستهدف مهاجمة التجميع الصاروخي المصري، من جميع الاتجاهات، وقصفه بوابل من الصواريخ والقنابل زنة ٢٠٠٠.٥٠٠ رطل.

وكان من المنتظر أن تبدأ المعركة خلال ساعة.

ولكن استغرق الرد ست ساعات ونصف تقريباً لتصل الموجة الهجومية الإسرائيلية مكونة من ٢٤ طائرة [١]

خلال الأسبوع الأول من شهر يوليو ١٩٧٠ تمكن تجمع الدفاع الجوي من اسقاط ٢٤ طائرات فانتوم وسكاي هوك وأسر ٣ طيارين إسرائيليين. وكانت هذه أول مرة تسقط فيها طائرة فانتوم لتصرخ جولدا مائير وقتها بمقولتها

---

[١] حائط الصواريخ ملحمة صنعها الصمود والدماء بطاريات صواريخ سام ٢ المفضلة أميرة إبراهيم صحيفة التحرير

الشهيرة عن حائط كتائب الصواريخ المصرية (كتائب الصواريخ المصرية أصبحت أشبه بعش الغراب كلما دمرنا واحداً نبت الآخر).

المقاتل المصرى حصد خبرة حرب الاستنزاف واستطاع تقليل أزمنة رد الفعل للدفاع الجوى من ٣٠ ثانية إلى ٣ ثوانٍ فقط لكن يمكن القول إن مقاتلى الدفاع الجوى المصرى استطاعوا أن يتحكموا فى طبيعة شعاع رادار التوجيه بطريقة تجعل الصاروخ (شرايك) لا يستطيع تتبعه ويفقد ويتوه فى الفضاء! فالصاروخ (شرايك) كان يعتبر فى ذلك الوقت من أفضل وأحدث إنجازات الصناعة العسكرية الأمريكية فى مجال الحرب الجوية، صُنع خصيصاً استجابة لطلبات القوات الجوية الأمريكية فى فيتنام لإسقاط وتدمير صواريخ الدفاع الجوى الروسى سام ٢، كانت نتائجه فى حرب فيتنام كارثية، استطاعت أن تمحو من الوجود كثيراً من مواقع الصواريخ الروسية، إلا أن الدفاع الجوى المصرى استطاع ببراعة أن يستنبط طريقة مبتكرة لتقليل خطورة الصواريخ (شرايك) ويتخلص من تأثيرها تماماً فى أحيان كثيرة، وقد تم تعميم هذا الأسلوب فى مواجهة (شرايك) فى جميع دول العالم التى تستخدم سام ٢، وكان لهذا الاستخدام نتائج مبهرة فى حرب فيتنام، بل إنه قد يكون أحد أسباب سرعة خروج القوات الأمريكية منها بعد عام ١٩٧٢.

أما عن كيفية التغلب علي وسائل الإعاقة والشوشرة بطبيعة الحال الدفاع الجوى وظيفته دفاعية بحتة، ولا يمكنه المناورة بين الدفاع والهجوم كما تستطيع الأسلحة الأخرى البرية والجوية والبحرية وذلك بسبب كبر حجم معداته وصعوبة المناورة بها، لكن فى الدفاع الجوى فى حرب الاستنزاف ومعارك حائط الصواريخ استطاع أن يتحول فى أوقات كثيرة من الدفاع إلى الهجوم عبر تحريك وحدات الدفاع الجوى من مواقعها فى الوقت الذى كانت تتوقع فيه قوات العدو استحالة مناورة هذه القوات خارج مواقعها! والمثير فى

الأمر أن قوات الدفاع الجوى استطاعت أن تعمل على تقليل الأزمنة اللازمة لنقل تلك المعدات والتحرك بها من خلال ابتكار أسلوب جديد يطلق عليه (الكمائن الصاروخية) وذلك بتحريك وحدات صواريخ إلى أماكن بعيدة عن موقعها الأصلى لفترة محدودة تستطيع فيها الاشتباك مع الطائرات المعادية بصورة مفاجئة لها، ونتائج تلك الكمائن كانت مشجعة للغاية لدرجة أنه فى النصف الثانى من ١٩٧٠ تمكنا من التقدم بالكمائن الصاروخية إلى مسافات قريبة جداً من الشاطئ الغربى لقناة السويس واستطعنا أن نسقط ٤ طائرات فى شرق القناة وبعدها توقفت أى طائرات إسرائيلية عن الطيران على مسافة ٢٠ كم شرق القناة! وجدير بالذكر هنا أنه كان من أهم مقومات القوات الجوية الإسرائيلية أجهزة الإعاقة الإلكترونية المضادة لرادارات الدفاع الجوى، وقد استخدمت إسرائيل هذه الأجهزة لأول مرة فى حرب ٦٧، ثم استخدمت بكثافة فى حرب الاستنزاف ومعارك حائط الصواريخ وحرب أكتوبر ٧٣، لكننا تغلبنا عليها.

فشلت إسرائيل في استخدام الطائرة بدون طيار (RPVS) وخاصة في حرب أكتوبر.

فقد استطاعت مصر إسقاط ٤ طائرات بدون طيار (RPVS) من خلال ٦ طلعات استطلاع قامت بها القوات الجوية الإسرائيلية كالآتى: إسقاط ٢ طائرة بالصواريخ سام ٢.

إسقاط ١ طائرة خاصة بالإعاقة على نظام القيادة الإلكترونية.

إسقاط ١ طائرة بصواريخ ستريلا أو المدفعية.

ونستطيع أن ندرك حجم الخسارة الإسرائيلية بتدمير تلك الطائرات عندما نعرف أن إسرائيل قامت فى اليوم التالى مباشرة باستخدام صواريخ (شرايك) لأول مرة فى هجمة جوية مركزة بعدد ١٨ طائرة فانتوم تحمل ٣٦

صاروخ شرايك، أطلقتها من شرق القناة على رادارات وصواريخ الدفاع الجوى المصرى غرب القناة بغرض القضاء على نظام الدفاع المصرى فى الجبهة، فأعلنت إسرائيل وقتها أنها قامت بتدمير الدفاع الجوى المصرى وأنه لن تقوم له قائمة مرة أخرى، ولقد احتفلنا جميعاً فى قيادة قوات الدفاع الجوى بذلك الإعلان لأنه فى تقديرنا كان علامة على مدى الفشل الإسرائيلى فى تحديد نتائج هذه الضربة الجوية!

لكن كان الاحتفال بسقوط الطائرة (استرتو كروز) احتفالا من نوع آخر فلم تكن تلك النتائج إلا نتاج قيام وحدات الدفاع الجوى بالجبهة بتنفيذ قواعد الاشتباك مع (شرايك) والتى تم التدريب عليها لفترات طويلة جداً قبل ذلك، وأيضاً نتيجة لقيام قوات الدفاع الجوى فى تقدير الموقف بعد سقوط الطائرة (استرتو كروز) وتوقع قيام إسرائيل بهجمات بطائرات (شرايك) فى اليوم التالى وإعطاء الأوامر للوحدات بالاستعداد للاشتباك طبقاً لقواعد الاشتباك تحت ظروف استعمال العدو للصواريخ «شرايك» فى الوقت المحدد تماماً [1]

قالوا عن حائط الصواريخ :

اللواء محمد علي فهمي (المشير بعدئذ) قائد قوات الدفاع الجوي منذ بعد حرب يونيو ١٩٦٧ والذي تولي قيادة قوات الدفاع الجوي خلال حربي الاستنزاف وأكتوبر : " نجحنا في بناء حائط الصواريخ في أغسطس ١٩٧٠، وعندئذ اختلفت الصورة تماماً، وبدأ الطيران الإسرائيلي يعاني نزيف الخسائر التي تلحقها به قوات الدفاع الجوي المصري".

---

[1] اللواء أركان حرب مصطفى خيرى البيه، رئيس غرفة عمليات قوات الدفاع الجوى المصرية، إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ وحرب الاستنزاف ورئيس شعبة بحوث الدفاع الجوى الأسبق في حوار صحفي لجريدة الوطن أجرته الصحفية مني مدكور.

في خطاب للرئيس جمال عبدالناصر في ذكرى ثورة ٢٣ يونيو عام ١٩٧٠ متحدثاً عن حائط الصواريخ وبطولات الدفاع الجوي المصري :إن العدو يقوم بغارات كل يوم، وكان تركيز العدو على عناصر الدفاع الجوي، وهدفه منعهم من آداء دورها على الجبهة، لكن العدو لم يستطع، وكان اعتراف العدو مؤخراً بأن عدد بطاريات الصواريخ المصرية على الجبهة يتزايد ولا يتناقص برغم ضراوة غارات طائرات العدو، وبدأت طائرات الفانتوم الأمريكية تتساقط على أراضينا، وبدأ طيارو الفانتوم وهم الصفوة المنتقاة من القوة العسكرية الإسرائيلية يقعون أسرى في أيدي رجال القوات المسلحة المصرية".

أما موشى ديان، وزير الدفاع الإسرائيلى فقد صرح بعد أيام من بدء حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقال: إن جذور هذه الحرب اللعينة الثقيلة بأيامها والثقيلة بخسائرها قد وُضعت فى عام ١٩٧٠ حينما أقام المصريون مواقع صواريخهم المضادة للطائرات على الشاطئ الغربى من قناة السويس، وبذلك أصبح لديهم القدرة على حماية قواتهم فى عملياتهم الهجومية شرق القناة، ولم نقم بتدميرها أو التخلص منها، لكن الحقيقة أن الإسرائيليين لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك.

واعترف ديان لاحقاً حينما سئل عن السبب في عدم تدميرها؟

فأجاب: لم تكن لدينا القدرة التكنولوجية والإمكانات القتالية للتخلص منها.

فلولا حرب الاستنزاف ومعاركها الحية الضارية ونجاحاتها وإخفاقاتها ما تمكنت قوات الدفاع الجوي من تطوير قدراتها ولما حققت الإنجاز الرائع الذي حدث في حرب أكتوبر، بعد تحييد سلاح الطيران الإسرائيلي ومنعه من تقديم المعاونة لقواته البرية فى مواجهة الهجوم المصرى وصد عملياته ،لتبداء معركة المصير لتتغير موازين القوي لصالح القوات المصرية التي عبرت قناة السويس ومنها إلي نصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

المبحث الثاني

رائحة الموت في تل ابيب

تجلى الموقف العسكري الإسرائيلي واتضحت خيوط مؤامرة إختطاف سيناء في سويعات قليلة بمساندة غربية، وصلت الدبابات الإسرائيلية إلى شرق قناة السويس تحت تغطية إعلامية واسعة متزامنة مع ضربة جوية مكثفة على كافة المطارات المصرية العسكرية بعد إعلان الوصول إلى شرق القناة بدأ ما يسمى بجيش الدفاع الإسرائيلي التغلغل في سيناء لفرض واقعاً جديداً على المنطقة، مستهدفاً كسر إرادة مصر التي حققت إنجازات ونجاحات مبهرة في كافة المجالات، بدأت محاولات الغرب لكسر مصر بتوريط مصر في حرب مستمرة باليمن من خلال الضغط على الجيش المصري باليمن عبر تحريض بريطانيا في عدن جنوباً والأمريكي من الشمال وإمداد القبائل بالمال والسلاح مما أدى لتكثيف القوة العسكرية باليمن على حساب الجبهة الشرقية لمصر في سيناء .

افتعلت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا المناورات والأزمات السياسية لمصر بحثاً عن مبرر لإسرائيل لشن ذلك الهجوم الخاطف على سيناء والذي تم على أرض شبه خالية من القوات المصرية سادت في مصر مشاعر إحباط موجعة ولكن أبداً لم تكن إستسلام بل غضب، كانت لحظة إفاقة للوطن الذي دخل غرفة الإنعاش ، فمصر قد تمرض ولكنها لا تموت.

بدأت مرحلة الصمود ساندتنا كل الدول العربية من المحيط إلى الخليج.

ظلت سيناء أسيرة تحت قبضة إسرائيل من يونيو ١٩٦٧ إلى أن تم تحريرها فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وبين هذين التاريخين حرباً كبري سطر

فيها الجيش المصري ملحمة من الأمجاد والبطولات والعمليات الكبري والعمليات الفدائية التي انهكت العدو وكبدته خسائر في الأرواح والمعدات هي "حرب الاستنزاف" فبأجماع الخبراء العسكريين كانت هذه الحرب بمثابة الانطلاقة الأولى لانتصارات أكتوبر حيث اعتبرت المقدمة الحقيقية لانتصار أكتوبر فهي الحرب التي أيقظت الروح العسكرية للمقاتل المصري بعد أن ظنت إسرائيل انها ماتت في نكسة ١٩٦٧.

وهي الحرب التي شمت فيها إسرائيل رائحة الموت نمر علي حرب الاستنزاف مرور الكرام وكثيراً منا لايعطيها أي اهتمام علي الرغم من أنها كانت اللبنة الأولي التي وضعتها مصر لدخول حرب أكتوبر فكانت حرب الإستنزاف هي التهيئة النفسية لدخول المعركة وكان أهم سلاح استخدمه ناصر هو سلاح الإعلام الموجه وأهم أداة وورقة لعب بها ناصر كانت الإذاعة العبرية الموجهة ضد إسرائيل فكيف استخدم ناصر هذه الورقة الرابحة لتأليب الرأي العام الإسرائيلي علي قادته وكيف كان تأثيرها وكيف زلزلت حرب الاستنزاف عموماً إسرائيل قادة ومجتمعاً مدنياً وعسكرياً؟

خبير الشؤون الإسرائيلية بالإذاعة المصرية والمؤسس المصري للإذاعة العبرية الموجهة ضد إسرائيل السيد أحمد الحملي يسرد ذكرياته عن حرب الاستنزاف فيقول: بداية أود أن أوضح ان أهداف حرب الإستنزاف هي التأكيد على ان الهزيمة مؤقتة وتبليغ رسالة للرأي العام في مصر بأن الجيش لم يستسلم، وان النكسة هي خارج حساب التاريخ وأن مصر مصممة على استئناف الحرب، وكان من بين الأهداف أيضاً تأليب الرأي العام داخل إسرائيل وتعرية مقولة ان الحرب حولت العرب إلى جثة هامدة فقد عادت الحرب ووصلت إلى نتائج وخيمة وخسائر فادحة لدى الجانب الإسرائيلي بعد

عام فقط من النكسة، والاعلام دوماً تعبيرعن الواقع وتطوره سواء في الاتجاه الإيجابي والسلبي، نحن كنا في إذاعة (قول قاهير) (صوت القاهرة بالعبرية) نترجم ونعبر عن سياسات الدولة فبدأنا على الفور في شن حرب نفسية ضد إسرائيل خصصنا لها عدداً مضاعفا من ساعات العمل والبث اليومي،أبرزنا بشدة أن الجانب الإسرائيلي كان يتكبد مصابين بجروح خطيرة أو قتلى بشكل يومي خلال عمليات عسكرية مصرية، ورفعنا في خلال حرب الاستنزاف شعار (دولة تأكل أبناءها) وكنا نبرز سقوط الجنود الإسرائيليين من صغار السن أو الذين تركوا وراءهم أبناء من خلال حرب نفسية تؤكد ان الذين سقطوا فوق أرض الغيربسبب أمور غيرشرعية وأن الغارات لم تؤد إلى وقف الحرب بل على العكس صعدت مصر حرب الإستنزاف واعتبرت ضرب الأهداف المدنية نوعاً من الإحساس بخيبة الأمل لدى الجانب الإسرائيلي، وكنا في الإذاعة الموجهة في إطار الحرب النفسية المصاحبة لحرب الإستنزاف نكشف بشكل يومي إجمالي أعداد القتلى والجرحى الذين سقطوا على الجانب الإسرائيلي منذ بدء الحرب ونبث تقديرات مستقبلية لعدد القتلى الإسرائيليين المتوقع خلال السنوات المقبلة ،كانت للحرب النفسية أبلغ الأثر في نفوس الجيش الإسرائيلي آنذاك وقد علمت ذلك من الأسرى الإسرائيليين والذين كان على رأسهم الجنرال (عساف ياجوري) الذي أكد لنا أن غالبية أفراد الجيش الإسرائيلي كانوا يسمعون ويتابعون من المخابئ الإذاعة المصرية الموجهة باللغة العبرية بل وكانوا يعرفون أسماء وأصوات المذيعين المصريين وأن سبب ذلك يرجع إلى مصداقية الإذاعة المصرية وتخبط بيانات وأخبار معارك حرب الإستنزاف التي تذاع في الأخبار الإسرائيلية، وقد حرصنا في الاطار نفسه على بث أغاني عبرية مثل: (أبنائى العشرين يريدون السلام)

و(أنا أعدك محبوبتي بأن تكون هذه هي الحرب الأخيرة) . بالاضافة لاقناع بعض الأسرى بتوجيه رسائل إذاعية باللغة العبرية لزملائهم يطالبونهم فيها بمغادرة إسرائيل حتى لا يقعوا في الأسر أو يسقطوا في المعارك.

موقفين انسانيين لجنديين إسرائيليين صدرهما الإعلام المصري للجبهة الإسرائيلية في حرب الاستنزاف كشفتهما الصحافة الإسرائيلية مؤخراً قصتان تبرزان بطولات الدفاع الجوي المصري وأخلاق الشعب المصري السامية القصة الأولي لطيار إسرائيلي كان يشن غارة على مطار بالمنصورة فاستطاع رجال الدفاع الجوي المصري اسقاط طائرته وكاد الفلاحون أن يفتكوا به لولا تدخل عمدة البلدة بذكاء ليسلمه للجيش المصري. وهو الموقف الذي جعل الطيار الاسرائيلي يعود مؤخرا لمصر (بمصاحبة مجموعة سياحية) ليشكر عمدة البلدة الذي أنقذه وتعامل مع الأسير بشكل إنساني.

اما القصة الثانية لجندي إسرائيلي آخر وقع في الأسر خلال عملية في السويس أصيب خلالها ونقل لمستشفى المعادي العسكري لتلقي العلاج لقي معاملة كريمة من المصريين ورغم مرور سنوات وسنوات على هذا الحدث يخجل الجندي الإسرائيلي من زيارة مصر (في اطار السياحة) فذكريات حرب الاستنزاف تمنعه من ذلك.

وباعتراف قادة ومسؤولين اسرائيليين فإن حرب الاستنزاف تمثل عند الاسرائيليين (رائحة الموت) وكابوساً مخيفاً يطاردهم أينما ساروا مازالت آثارها وندوبها وتقرحاتها لا تزال موجودة في المجتمع الإسرائيلي وقد عبرت اعترافات العديد من الإسرائيليين عن ضراوة هذه الحرب مثال ذلك اعترافات

موشيه ديان في كتاب (حوارات مع ديان) شهادة عظمي علي ضراوة هذه الحرب يعترف ديان: على الرغم من ان الدفاعات الجوية المصرية وسلاح الطيران المصري انهارت في حرب يونيو ٦٧ فإن المصريين استطاعوا تجميع القوات على الضفة الغربية للقناة واعادة تدريبها وارسال قوات كوماندوز بشكل متتال للضفة الشرقية حققت نجاحات كثيرة خاصة في القيام بكمائن ضد القوات الاسرائيلية. واعترف (ديان) لأول مرة بأنه في إحدى هجمات القوات الخاصة المصرية بالضفة الشرقية هاجموا قافلة مدرعات كان هو شخصيا بها، بل ان المدرعة التي كان بداخلها أصيبت بالنيران المصرية وتعطلت مما اضطر القوات الاسرائيلية لنقله بسرعة إلى مدرعة أخرى والانسحاب من المكان.

عن إحساس حرب الاستنزاف المرير يؤكد(ديان): كان وضع القوات الاسرائيلية في سيناء أسوأ من الوضع في هضبة الجولان. كان الجنود الإسرائيليون القادمون من مدن يخشون الانفصال عن بقية القوات خاصة وان كل موقع على القناة كان يبعد عن الذي يليه عشرات الكيلو مترات فكان أغلب الجنود الإسرائيليين يفكرون في السيناريو السيئ الذي سيحدث لو هاجمهم المصريون. لقد زرت المواقع على الجبهة المصرية كان هناك بعض القادة يتميزون بعدم الخوف لكن الأغلبية لم تكن تشعر بالثقة في النفس يتملكها شعور بالخوف.. الخوف الشديد) .

أما عجيبة الأعاجيب عن حرب الاستنزاف فيرويها ابن وزوجة رئيس الأركان الإسرائيلي الأسبق حاييم بارليف الذي وضع فكرة وتأسيس خط بارليف بتكلفة مليارات الدولارات ظنا منه انه الحصن المنيع سيقف أمام أي محاولات عسكرية مصرية لتحرير سيناء.. ابن بارليف وزوجته أكدا لصحيفة

(يديعوت أحرنوت) : ان حرب الاستنزاف هي الأكثر ضراوة وقسوة على إسرائيل حتى بمقارنتها بحرب أكتوبر، وكشفا عن أن بارليف رفض في هذه الفترة رغبة ابنه في اجتياز دراسات عسكرية حتى يصبح ضابطا عاملا.. وقال له: العمل كضابط في الجيش النظامي ليس مهنة جيدة.. لكن الابن التحق في النهاية بالجيش ومعه مجموعة من جيرانه، وابن عمه، فلقي الأخير مصرعه بعد التحاقه بوحدة عسكرية تابعة لأريل شارون، بينما فقد معظم أصدقائه وجيرانه الذين سقطوا قتلى وجرحى حسب اعترافه. اعترافات ابن بارليف ليست وحدها الدليل على ما تركته هذه الحرب من آثار قاسية على اسرائيل، وإنما شهادات أخرى اسرائيلية تبدأ من رسائل تلقتها حولدا مائير رئيسة الوزراء آنذاك من شباب صغير السن يعبر عن خوفه الشديد من المستقبل، في الوقت الذي لم يكن قد مر على انتصاراتهم في ٦٧ أكثر من عام ويعطي كل هذا دليلاً دامغا على أن حرب الإستنزاف التي راح ضحيتها شهداء من مصر وضعت الفصول الأولى من مجمل فصول انتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣.

أحدثت حرب الاستنزاف شرخاً كبيراً داخل جيش الدفاع الإسرائيلي فحدثت مظاهرات عنيفة اشترك بها ضباط احتياط. وشكل زعماء هذه المظاهرات بعد ذلك حزب (شينوي) أي (التغيير) الذي كان شريكا في الائتلاف الحكومي السابق بقيادة إسحاق رابين والذي تحول بعد ذلك لحزب (راتس) (حركة حقوق المواطن) وهي تنظيمات يسارية مؤثرة على الخريطة السياسية في إسرائيل.

حتى الآن كابوس الإستنزاف وذكرياته الأليمة مازالت باقية في الوجدان الإسرائيلي وكابوس حرب الاستنزاف ما زال ماثلا أمام الإسرائيليين لدرجة

تسمية البعض للمناوشات على الجبهة اللبنانية بـ (حرب الاستنزاف الجديدة) رغم ان هناك بعض التفاهم مع الجانب اللبناني على خطوط حمراء للعمليات العسكرية حتى لا يتم قصف البنية التحتية اللبنانية وتدميرها. فكابوس حرب الاستنزاف قائم على الرغم من ان الجبهة اللبنانية هي جبهة محدودة ولا تقارن بحرب الاستنزاف الأولى.

وثائق وزارة الخارجية الإسرائيلية عن حرب الاستنزاف التي تم نشرها بالعبرية اعترفت : بأن المصريون بارعون في عمليات المراقبة والرصد للطرق الرئيسية التي تستخدمها القوات الاسرائيلية لنقل المؤن والمعدات للمواقع الحصينة وكانوا يطلقون نيرانا كثيفة على العربات والمدرعات بعد رصدها من الأتربة المتصاعدة عن حركتها على الطريق خلال اتجاهها إلى الموقع الحصين أو العكس. لقد جعل الجيش المصري عمليات استطلاع الدوريات الاسرائيلية عملية خطرة كما سقط كثيرون من الذين كانوا يقومون بتلك الدوريات بسبب نيران القناصة المصريين. لقد كانت الحياة على شاطئ القناة غارقة في توتر دائم، تهديد مستمر من القصف المدفعي وقوات الكوماندوز المصرية. لم نكن نعرف متى وأين ستسقط الدانة المقبلة، أو من أين سيهجم علينا الكوماندوز المصري. كانت مشاعر الانفصال والحصار تتزايد ليلا وخلال لحظات الهدوء في الوقت الذي كان التعتيم الإعلامي يتم فرضه على ضحايا الاستنزاف حتى تسير الأمور كالمعتاد في الجبهة الداخلية لاسرائيل.

لقد تزايدت الهجمات الاستنزافية المصرية ووصلت لذروتها في أكتوبر ١٩٦٨ فقررت القيادة العسكرية دراسة امكانية احتلال أجزاء من الضفة الغربية لقناة السويس كرد على الهجمات المصرية إلا انه اتضح ان الجيش

الاسرائيلي ليس لديه الامكانات اللازمة لهذه الخطوة التوسعية، بالاضافة إلى تداعياتها السياسية الخطيرة بالنسبة لاسرائيل فتقرر الغاء العملية والاكتفاء ببناء خط بارليف وشن هجمات جوية على العمق المصري وضرب أهداف صناعية مدنية. لكن الغريب أن القوات المصرية لم تهدأ وتسكن بل شنت هجمات أكثر عنفا بمصاحبة قصف مدفعي مكثف على طول القناة خاصة في مارس ١٩٦٩. فردت اسرائيل بضرب مدن القناة بالطيران وفي النهاية تم وقف اطلاق النار في السابع من أغسطس ،١٩٧٠ بعد أن وصل عدد القتلى الاسرائيليين إلى ٧٢١ قتيلا. وقد استغلت مصر هذه الهدنة في تقديم حائط الصواريخ المتمثل في صواريخ سام-٣ المتطورة نحو شاطئ القناة.

ظاهرة الموت بلا ثمن _ المناخ المليء برائحة البارود_ ومشاهد القتلى والجرحى الذين يتساقطون في كل يوم على ضفاف القناة وفي وادي الأردن وعلى الهضبة السورية من الاسرائيليين كضحايا بلا ثمن كانت هذه الكلمات والجمل تملاء سماء إسرائيل فهذه الكلمات كانت بمثابة بارود وطلقات لشعراء وأدباء إسرائيل فاطلقوا صرخات الاحتجاج والسخط ضد سياسة التوسع الصهيونية وضد ظاهرة الموت بلا ثمن التي أصبحت جزءا من الحياة الإسرائيلية بعد تبدد الأمل في السلام واندلاع حرب الاستنزاف وتلاشي أسطورة الحرب التي تنهي جميع الحروب. .

وعن أثر حرب الاستنزاف في المجتمع الإسرائيلي تتبع الدكتور (رشاد الشامي) ، في كتابه القيم (عجز النصر) عن أدب ما بعد حرب ،٦٧ الوجه الآخر للانتصار الاسرائيلي العسكري في ٦٧ وهو وجه السأم من الحروب والرغبة في حياة تخلو من رائحة الموت التي تطاردهم في كل يوم وتحرمهم من الأمل في

تواصل الحياة الهانئة بلا قلق على مستقبل الأبناء الذين يقومون دوما على الاطماع التوسعية كموتى بلا ثمن في نصرماهوالا شارات وأوسمة تتعلق على صدور المتعجرفين من القادة العسكريين الذين يقفون في زهو مزيف على جثث الضحايا دون أن يحققوا لأبناء الشعب الأمن أو العيش في سلام فهو إذا نصر عاجز. رصد (الشامي) ذلك كله من خلال النتاجات الأدبية الاسرائيلية عن حرب ٦٧ وبالذات اثر نشوب حرب الاستنزاف عام ١٩٦٩. وقد عكس كل هذه المشاعر قول الكاتب الإسرائيلي (مائير شيلاف) : ليس هناك موطئ قدم في هذه البلاد ولو كان آباؤنا قد ساروا فيه أغلى عندي من جثة الفتى المتعفنة. ومن النماذج الشعرية التي لا تحتاج إلى تعليق أيضا، والتي أوردها الدكتور الشامي، ثلاث قصائد كتبها جنود اشتركوا في حرب ١٩٦٧ وعبروا فيها عن خوفهم من ظاهرة الموت خلال حرب الاستنزاف، لكنهم على الرغم من ذلك قتلوا جميعا في حرب أكتوبر ١٩٧٣. القصيدة الأولى لجدعون روزنتال وتمتلئ بالاحساس المأسوي بالموت:

لم أساعد الرفاق الذين سقطوا..
ولم أسمع بكاء الأمهات..
ولم أشم رائحة الشهداء..
ولم أربعد الأذرع المقطوعة..
ولكنني عشت عشرين عاما..
على سطح هذه الأرض.
وقد كان هذا حسنا وأريد أن أواصل.. أريد ببساطة أن أواصل الحياة..
هناك أشخاص يسقطون وهم شبانا كم هذا غبي..
ليس في السرير بالذات من نيران الرصاصات كم هذا غبي..

من أجل الآباء الذين ستصبح حياتهم مريرة للغاية كم هذا غبي..
يموتون وهم في العشرين.
وهم فقط في العشرين...

ويتكرر نفس هذا الاحساس بالموت المفاجئ المحتمل، في قصيدة (يوسف شريح) والذي قتل هو الآخر في حرب أكتوبر ١٩٧٣:

لقد جاء موتي فجأة وعرفت كواحد من الناس أنه مقترب...

وبروح مشابهة كتب (باري حازاك) قصيدة بعنوان (رب العالمين) في صورة توقع للموت من خلال محادثة لاسلكية تنتهي بهذه الكلمات:

رجاء أن تغلق عينيك انني أسمع الآن. ياروت أنت تستطيع في النهاية أن تموت. أيها الأب الثاكل.

انني لم أعد أشعر بعد لأن دموع الشتاء سوف تقرأ عليك صلاة (القادرش) .

ومن أهم الأعمال التي كانت بمثابة مرآة لأزمة حرب الاستنزاف داخل نفوس الإسرائيليين مسرحية غنائية (لمانوخ لفين) بعنوان (ملكة الحمام) والتي قدمت عام ١٩٧٠ على خلفية النزيف الدموي الموجع لحرب الاستنزاف والعديد من الأحزان والثكالى والأرامل بين الإسرائيليين وهي المسرحية التي أحدثت ردود فعل عارمة لم يحدثها عمل أدبي أو مسرحي في إسرائيل من قبل حيث يمكن القول دون تردد أن إسرائيل بعد عرض مسرحية (ملكة الحمام) لم تعد هي نفسها إسرائيل قبل ذلك العرض. و(ملكة الحمام) عبارة عن عرض

مسرحي ساخر ولاذع عالج عدداً من الأساطير اليهودية والمقدسات الإسرائيلية التي تمحورت حول قضايا حساسة وموجعة مثل فقدان الأبناء في الحروب. والترمل، ومعوقي الحرب، وتحول دولة إسرائيل إلى سلاح طيران. وتراوحت أصداء الضجة التي أثيرت حول المسرحية بين الهجوم الحاد وبعض التأييد فقد ذكرت صحيفة (هاآرتس) : أن المسرحية ليست ضد جيش الدفاع الإسرائيلي أو ضد الأرامل والآباء الثكالى. انها بشكل غير تقليدي ضد الرضا عن الذات عند العديد من أبناء مجتمعنا بالنسبة للوضع القائم. إن وضع الإنسان في أيامنا هذه، هو الوضع الذي يتم فيه الإتجار بالحروب في عديد من الأحيان، والمتاجرة بالبطولة، ويحزنني أن أقول المتاجرة أيضا بالحرب في عديد من الأحيان، والمتاجرة بالبطولة، ويحزنني أن أقول المتاجرة أيضا بما هو أفظع من ذلك: بموت الناس.

جعلت هذه الضجة وزير الدفاع الاسرائيلي (موشيه ديان) يحضر عرض المسرحية ويصرح بعدها: لست أعرف ماذا ومن تعبر عنه هذه المسرحية. وقد فكرت أثناء العرض فيم يحدث بالفعل لو أنهم أخذوا هذه المسرحية على ما هي عليه وعرضوها في المواقع على الجنود المصريين في الجانب المقابل.. في الجانب الغربي من قناة السويس.. أي متعة كانت ستصيب الجيش المصري لو عرض عليه المسرح الحكومي الإسرائيلي مسرحية تقدم رئيسة الوزراء تريد أن تمسك وزير الخارجية الاسرائيلي من (مكان حساس) وتعرض الأب يريد أن يذبح ابنه لكي يصل إلى حالة الأب المثكول لست أتصور أي شيء يمكن أن يكون أكثر تشجيعا للجيش المصري مما يعرضونه.. انهم يبرئون العرب.. أولئك العرب المساكين الذين نذبحهم طوال الوقت أو نتفاخر بأننا نذبحهم.

ومن أبرز ردود الفعل العارمة أيضا التي شهدتها اسرائيل خلال فترة حرب الاستنزاف، مطالبة مجموعات من كل قطاعات المجتمع الإسرائيلي بوضع حد لهذه الحرب والسعي إلى السلام بأي ثمن مع العرب ولو على حساب التنازل عن الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧

كان من أشهر ردود الفعل المدنية البارزة لحرب الاستنزاف ذلك الخطاب الذي يحوي عدة سطور أرسله طلاب الصف الثاني عشر في إحدى المدارس الثانوية في إسرائيل إلى (جولدا مائير) رئيسة الوزراء الإسرائيلي احتجاجا على عدم استجابة الحكومة لاقتراح دكتور ناحوم جولدمان (رئيس المنظمة الصهيونية العالمية) الخاص بارساله للتباحث مع عبدالناصر حول السلام. وقد جاء في الخطاب الذي نشر في الملحق الأدبي لجريدة (هاآرتس) :

"نحن جماعة تلاميذ الثانوية الذين على وشك التجنيد في جيش الدفاع الاسرائيلي، نحتج على سياسة الحكومة ازاء قضية (جولدمان . ناصر) . لقد كنا نعتقد حتى الآن اننا نذهب للحرب وللخدمة لمدة ثلاث سنوات لأنه لا خيار أمامنا. وبعد هذه القضية ثبت انه حتى حينما يكون هناك خيار ولو صغير للغاية فإنكم تتجاهلونه، وعلى ضوء هذا فإننا وكثيرين آخرين نفكر كيف نحارب حربا دائمة لا مستقبل لها في الوقت الذي توجه فيه حكومتنا سياستها بطريقة تضيع احتمالات السلام. إننا ندعو الحكومة إلى استغلال كل فرصة وكل إمكانية للسلام"

كان خطاب الصف الثاني عشر بمثابة الشرارة التي انتشرت في تل أبيب كالنار في الهشيم انضم لها الشباب علانية وأيدوا (المنظمة الإشتراكية الإسرائيلية) التي أصبحت بعد هذا الخطاب موضوع اهتمام المجتمع

الإسرائيلي. وكان هناك من وزعوا صحفا سرية تحمل أسماء مثل (جعشوش) و(نعشوش) (نوعر شوحير شالوم ـ الشباب الداعي للسلام)، مكتوبة باسلوب براق وتحوي كلمات احتجاج صارخة ضد سياسة العدوان والتوسع والحرب الاسرائيلية. وحفلت هذه المقالات بصرخات مثل: (إذا استمرت الظروف الحالية) الذي تصل فيه حقا إلى هذه الحالة: لكل شاب ستكون هناك ـ ثلاث فتيات) أو مثل: (أنت أيها الشاب اليقظ لمشاكل الساعة أنت أيها الشاب الهادئ الذي لا يتمرد على المجتمع أنت أيها الشاب الذي تسمى ذئبا على ألسنة العجائز ولا تخجل من هذا، أنت أيها الشاب الميت، المتعب، قم وتخلص من جمودك، وتخلص من وصاية آبائك وأجدادك، قم وتظاهر واخرج ضد الزعامة المجنونة، التي بسبب غبائها الشديد أوصلتنا إلى هذا. كف كف عن أن تقول آمين لكل كلمة تقولها جولدا مائير أو موشيه ديان. أخرج إلى الشوارع وتخط الحواجز، حارب من أجل السلام. لا تقل ان الموقف الأمني لا يسمح بهذا. حارب من أجل تغيير الموقف الأمني. إن السلام يجب أن يصل بأي ثمن وكان سيصل لولا غباء الزعامة. لا تقل ان الحرب قد فرضت عليها، إن هذا القول من الممكن أن يردده الأمريكيون في فيتنام. إنهم لم يفرضوا علينا الحرب بل فرضتها أنت على نفسك لانك أيدت طريق زعمائك)

أما حرب الاستنزاف في عيون الحاخامات ورجال الدين البارزين فقد كانت لها آثار سيئة وردود أفعال عنيفة فقد أعلن الحاخام السابق (سينؤر زلمان ملادي) انه تحول منذ أكثر من عشرين عاما عن الدين اليهودي واتجه للعلمانية..

أما عن أسباب عودته حسب قوله: تعارض الدين اليهودي الحالي مع القيم الإنسانية. وقد اخترت القيم الإنسانية. وفي الواقع لقد بلغت فيما بعد حرب يونيو ١٩٦٧ قمة المنحنى الديني وبعدها بدأت في التراجع وأدرت ظهري لليهود

من أحدث التقارير الصادرة عن حرب الإستنزاف تقرير للمؤرخ الاسرائيلي (موردخاي ناؤور) الذي اختار حرب الإستنزاف كأحد أهم الأحداث في التاريخ الإسرائيلي وقال عنها بشكل مكثف:

في الثامن من مارس عام ١٩٦٩ بدأت مصر حرب الاستنزاف على امتداد الضفة الشرقية لقناة السويس تقريبا بشكل يومي حتى أغسطس ١٩٧٠. ففي الثامن من ابريل عام ٦٩ تم اطلاق عدد من الصواريخ على ميناء إيلات. بعد ذلك حدث استمرار للهجمات على طول قناة السويس وتم تصعيد المعارك البرية والبحرية والجوية في الشهور التالية وبدءا من سبتمبر في العام نفسه سقطت طائرات اسرائيلية في معارك جوية مع القوات المصرية وسقط الطيارون في الأسر، فالمصريون على الرغم من الضربة القاسية التي تعرضوا لها في حرب يونيو ٦٧ لم يستسلموا وأخذوا يشنون الهجمات المسلحة على قوات الجيش الإسرائيلي على طول قناة السويس وكان القتال شبه يومي ، وعلى الحدود الأخرى وقعت كذلك معارك متتالية ضد الجيوش و(المخربين) (الفدائيين) العرب. لكن الوصف (حرب الاستنزاف) كان المقصود به بشكل خاص الجبهة المصرية. وقد فقدنا خلال المعارك خسائر هائلة.

أما العملية العسكرية الضخمة في حرب الاستنزاف التي مازال الإسرائيليون يقفون أمامها مدهوشين وما زالت أسرارها لم تتكشف بعد فهي عملية إغراق الغواصة الإسرائيلية داكار في يناير ١٩٦٨ فأحدث الوثائق الاسرائيلية حول هذه العملية تذكران: الغواصة التي تم شراؤها من الاسطول البريطاني عام ١٩٦٤ غادرت ميناء بورتسموت متجهة لاسرائيل يوم التاسع من يناير ١٩٦٨ وبداخلها ٦٩ من القوات الإسرائيلية وقد وصلت وفقا للخطة المحددة لميناء جيفرلتر يوم ١٥ يناير لتحصل على الوقود وأطعمة مطلوبة. ثم غادرت الميناء متجهة شرقا في طريقها لاسرائيل، إلا انه في منتصف ليلة ٢٥ يناير تلقت قيادة البحرية الاسرائيلية آخر برقية روتينية من الغواصة حددت فيها موقعها على بعد ٣٦٠ ميلا من شاطئ إسرائيل. وفي صباح اليوم نفسه كان من المفترض أن تقوم داكار في الثامنة بارسال برقية مماثلة لقيادة البحرية الإسرائيلية لكن الأخيرة لم تتلق أية إشارات أو برقيات من الغواصة. وبعد محاولات تم اتصال مشوش مع الغواصة سرعان ما انقطع تماما فبدأت عمليات البحث عن الغواصة في صباح يوم ٢٦ يناير بدون جدوى رغم الجهود الاسرائيلية المكثفة مما اضطر إسرائيل في الرابع من فبراير إلى اعلان الغواصة وطاقمها المكون من ٢٩ فردا (مفقودين) واعتبر الحادث غصة في حلق إسرائيل حتى الآن.

في أول يوليو ١٩٦٧ وبعد عشرين يوما على النكسة وفي موقع صغير بمنطقة رأس العش يضم ثلاثين مقاتلا من رجال الصاعقة المصرية تقدمت قوة مدرعة اسرائيلية صوب الموقع في محاولة لإكمال السيطرة على الضفة الشرقية للقناة.. يتصدى الرجال للقوات المعادية في معركة شرسة كانت نتائجها صدمة كهربائية للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية.. في نفس الوقت

الذي كانت فيه نقطة تحول هامة وعلامة بارزة لإرادة الصمود المصري.. وفي اليوم التالي حاولت القوات الإسرائيلية التقدم مرة ثانية، وكانت النتيجة مزيدا من الخسائر في المعدات والأرواح، باءت كل محاولاتها بالفشل الذريع.[1]

وفي يوم الثامن من يوليو أي بعد أسبوع من معارك رأس العش. حاولت قوة اسرائيلية التقدم من جنوب بور فؤاد وفشلت المحاولة بعد مقاومة عنيفة وشجاعة فريدة للمقاتلين المصريين وكانت ضراوة هذه المعارك وحجم الخسائر التي تكبدتها القوات الاسرائيلية كافية بعدم تكرار محاولاتها تلك لمدة ست سنوات تالية حتى اندلعت الشرارة ظهر ذلك اليوم المجيد.. السادس من أكتوبر ١٩٧٣. -كانت معارك رأس العش بداية مرحلة (الصمود) التي امتدت حتى سبتمبر ١٩٦٨ خلال هذه الفترة انطلقت بضع طائرات (كانت هي البقية الباقية من طائرات قواتنا الجوية التي دمرت على الأرض يوم الخامس من يونيو) حيث دارت معارك جوية ضارية أثبتت شجاعة نسورنا التي سجلتها وكالات الأنباء العالمية.

في أعقاب تصعيد التراشق بالأسلحة الصغيرة والمدفعية بين القوات المصرية والإسرائيلية خلال شهر سبتمبر ١٩٦٧ وجهت إسرائيل ضرباتها إلى مدن القناة بواسطة مدفعياتها الثقيلة استشهد عدد كبير من مواطني هذه المدن.

وفي الحادي والعشرين من أكتوبر ١٩٦٧ سجلت البحرية المصرية حدثا فريدا في تاريخ الحروب البحرية عندما تقدمت المدمرة الاسرائيلية (إيلات) إلى

---

(١) يوميات حرب الاستنزاف طبقاً لوثائق هيئة الاستعلامات المصرية

مياهنا الاقليمية أمام مدينة بور سعيد.. وانطلقت لنشاتنا الصاروخية تسبقها إرادة الرجال لتطلق صواريخها بحر. بحر لأول مرة في الحروب البحرية لتسكن المدمرة (إيلات) التي تمثل نصف القوة البحرية الاسرائيلية في قاع البحر ووصلت خسائر إسرائيل يومها في الأفراد فقط ٣٠٠ جندي وضابط.

وفي صباح الثالث والعشرين من أكتوبر ١٩٦٧، ردت اسرائيل بقصف معامل تكرير البترول في السويس والمدنيين في مدن القناة فصدر قرار مصري باخلاء منطقة القناة من سكانها المدنيين.

مع اقتراب عام ١٩٦٨ كانت القوات المصرية قد أصبحت قادرة على الانتقال من مرحلة الصمود في مواجهة العدوان الإسرائيلي إلى مرحلة الردع.

ففي الاسبوع الأول من سبتمبر ١٩٦٨ استهلت قواتنا مرحلة الردع التي استمرت حتى مارس ١٩٦٩، بأعمال تعرضية لمنع قوات العدو من تقوية دفاعاتها على الضفة الشرقية للقناة.

وكانت معركة الدفاع الشهيرة يوم الثامن من سبتمبر ١٩٦٨ بداية تلك المرحلة حيث بدأت قواتنا بقصف قوات العدو على الضفة الشرقية للقناة وعلى طول المواجهة في وقت واحد مكبدة العدو خسائر فادحة في الأفراد والمعدات.

وفي يوم ٢٦ أكتوبر ٦٨ عبرت دورية مصرية إلى الضفة الغربية للقناة تحت ساتر من القصف المدفعي العنيف لقواتنا، وعادت بأسيرين من جنود العدو تحت ستر الظلام.

وردت اسرائيل باغارة على نجع حمادي ليلة ٣١ أكتوبر حيث تمكنت قوة من أفراد الكوماندوز الإسرائيليين تحملهم طائرات الهليكوبتر بوضع عبوات ناسفة في محطة محولات نجع حمادي وقناطر نجع حمادي وكوبري قنا.

وبدأت المواجهة على جبهة القتال تتصاعد يوما بعد يوم.

تدخل الطيران الإسرائيلي بصورة فعالة بعد أن كثفت المدفعية المصرية من قصفها المستمر ضد المواقع الإسرائيلية. وقبل نهاية عام ١٩٦٨ كانت الطائرات المصرية قد بدأت تحد من نشاط إسرائيل الجوي على امتداد جبهة القتال.

وفي الثامن من مارس ١٩٦٩ تطورت الإشتباكات وتصاعدت حدتها لتعلن بداية مرحلة الإستنزاف ضد القوات الاسرائيلية فزادت دوريات العبور إلى الضفة الشرقية للقناة من أجل رفع معدلات الخسائر الإسرائيلية في الأفراد والمعدات،ففي يوم الثامن من مارس قصفت المدفعية المصرية قوات العدو على طول المواجهة وبتركيز شديد لمدة خمس ساعات كاملة.. واستمر القصف يوم التاسع من مارس دون انقطاع حتى تحطم أكثر من ٨٠% من تحصينات خط بارليف ومني الجيش الإسرائيلي بأضخم خسائر عرفها بين ضباطه وجنوده يومها استشهد الفريق أول عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة بين ضباطه وجنوده في الخطوط الأمامية ضاربا أروع صور البطولة والفداء وهو يتابع عن كثب تنفيذ الخطة المصرية المحكمة لتدمير خط بارليف.

وفي الإطار نفسه عبرت أعداد من الجنود المصريين وصلت إلى سرية بل وكتيبة كاملة قامت بالإغارة على النقاط القوية جنوب البحيرات ليلة ٢١.٢٢ ابريل ١٩٦٩ وتم فيها قتل ستة أفراد للعدو والعودة بأسير.

الاغارة على النقطة القوية ١٤٦ على الضفة الشرقية للقناة ليلة ٢٣.٢٤ يونيو ١٩٦٩ حيث تم تدمير عدد من عربات العدو وقتل حوالي خمسة أفراد له. الإغارة يوم العاشر من يوليو ٦٩ على قوات العدو بمعسكر القرش شرق القناة وتدمير دشم الأسلحة بالمواقع.

وفي اليوم نفسه تمت الإغارة على النقطة القوية في لسان بور توفيق حيث أمكن تدمير عدد من الملاجئ والدبابات وقتل للعدو ما يقرب من ٤٠ فردا والعودة بأسير.

أما في يوم الخامس من نوفمبر ٦٩ فقد نصبت القوات المصرية كمينا لقوات العدو بالشط في سيناء ودمرت عربتين للعدو وقتل ثمانية من جنوده وأسر أحد الجنود. وكمين آخر تم ليلة ٥/٦ نوفمبر بمنطقة الشط حيث تم قطع طريق الجباسات وأمكن تدمير دبابة اسرائيلية.

وشهدت منطقة جسر الحرش على الضفة الشرقية للقناة كمينا جريئا تم فيه التعرض لدورية اسرائيلية حيث دمرت دبابتان للعدو وقتل له ١٨ فردا.

وفي يوم التاسع من نوفمبر ٦٩ قامت الوحدات البحرية المصرية بقصف المواقع الإسرائيلية بمناطق رمانة وبالوظة على الساحل الشمالي بسيناء.

كما قامت الضفادع البشرية بهجوم جريء على ميناء (إيلات) الإسرائيلي يوم ١٦ نوفمبر ٦٩ وتمكنت من اغراق ثلاث قواطع بحرية للعدو.

وخلال يوم ١٩ نوفمبر ٦٩ قامت قواتنا بإغارة على النقطة القوية المعادية ١٤٦ للمرة الثانية، حيث تم تدمير عدد من الملاجئ والدبابات والعربات للعدو وبلغت خسائره في الأفراد ٤٠ فردا بين قتيل وجريح.

وفي ١٤ ديسمبر ٦٩ شهدت منطقة سرابيوم شرق القناة كمينا تم فيه تدمير عربة معادية وقتل فردين وأسر ضابط. كما قامت قواتنا البحرية في ٢٧ يناير ١٩٧٠ بقصف مستعمرة (ناحال ديكلا) شرق العريش حيث دمر العديد من المباني وقتل حوالي ٢٢ فردا للعدو، كان لهذا القصف أثره البالغ في اشاعة الفوضى والرعب لقوات الجيش الاسرائيلي بالمنطقة.

وفي الخامس من فبراير ١٩٧٠ قامت قواتنا بعمل كمين للقوات الإسرائيلية على طريق القنطرة ـ التينة حيث تم تدمير ثلاث دبابات وثلاث عربات للجيش الاسرائيلي. - وشهد ميناء (إيلات) الإسرائيلي للمرة الثانية هجوما جريئا لمجموعة من ضفادعنا البشرية في يوم السادس من فبراير ١٩٧٠، دمر للعدو سفينتين وأصيبت سفينة ثالثة.

كما شهدت النقطة شمالي موقع الشط كمينا يوم ١١ فبراير تم فيه تدمير عربة لوري محملة بالجنود الاسرائيليين ودبابة وعربتين مدرعتين.

وفي ٢٦ مارس ١٩٧٠ أقامت مجموعة من القوات المصرية كميناً على طريق القنطرة الشط، وتمكنوا من قطع الطريق وتدمير لوري وعربة مجنزرة وقتل للعدو ١٥ فردا.

وفي منطقة رأس العش تم عمل كمين للعدو يوم ٣٠ مايو ١٩٧٠، حيث هوجمت دورية إسرائيلية ودمرت ثلاث دبابات معادية وعربتان مجنزرتان وقتل ٣٠ جنديا اسرائيليا.

وفي نفس اليوم وفي منطقة التينة على الضفة الشرقية قامت مجموعة أخرى من رجالنا بعمل كمين للقوات الاسرائيلية دمرت خلاله دبابة وعربة مدرعة وقتل ستة أفراد اسرائيليين وأسر جندي آخر. في الوقت الذي فشلت فيه القوات الإسرائيلية في القيام بعمليات خاطفة في جزيرة شدوان.

كما شهد شهر يوليو ١٩٧٠ تحطيم ٢١ طائرة إسرائيلية بعد اكتمال حائط الصواريخ المصري. بعدها صمتت المدافع وفقا لمبادرة روجرز في السابع من أغسطس ١٩٧٠ استعداداً لمعركة التحرير الكبرى التي كانت حرب الاستنزاف خير مقدمة وتمهيد لها على الساحة المصرية والاسرائيلية في الوقت نفسه[١]

---

[١] أحمد فؤاد صحيفة البيان الإماراتية

المبحث الثالث

مصر المهزومة تبدو منتصرة

فى حديث لجمال عبدالناصر إلى أساتذة وطلبة الجامعات المصرية عقب مظاهرات الطلبة في نوفمبر ١٩٦٨ يقول الرئيس جمال عبد الناصر: " أنا عارف مدى الغضب ومدى المفاجأة التي أصابتنا جميعا بعد النكسة وبعد إللى حاصل وعارف إن الشعب العربى في مصر غاضب وحزين لأن جيشه نال هزيمة غير مستحقة ولأن سيناء تم احتلالها بس أنا بدى أقول لكم حاجة الرئيس تيتو بعت لى رسالة جت له من ليفى أشكول رئيس وزراء إسرائيل بيطلب فيها إنه يقابلني في أي مكان في العالم لنتحدث ولكى نصل إلى حل وبيقول أنه مش هيتعامل معى معاملة منتصر مع مهزوم، وإن إسرائيل مستعدة ترد لنا سيناء من غير شروط مذلة إلا شرط واحد بس أن مصر تبقى دولة محايدة يعني لا قومية عربية ولا عروبة ولا وحدة عربية نبقى في حالنا ومالناش دعوة بإسرائيل ولا نحاربها، إسرائيل قتلت الفلسطينيين وإحنا مالنا، إسرائيل ضربت سوريا إحنا محايدين، ضربت الأردن ،لبنان، مصر مالهاش دعوة وما تتكلمش.

يعنى خدوا سيناء وطلقوا العروبة والقومية والوحدة ونبيع نفسنا للشيطان، أنا طبعا قولت للرئيس تيتو الكلام ده مرفوض القدس والضفة والجولان وسيناء يرجعوا مع بعض، إحنا مسئولين عن كل الأراضي العربية، إحنا مسئولين عن حل مأساة شعبنا العربي في فلسطين، مش هنقبل شروط، ومش هنخرج من عروبتنا، ومش هنساوم على أرض ودم العرب، لن تقبل الجمهورية العربية المتحدة بحل جزئي أبداً، معركتنا واحدة وعدونا واحد وهدفنا واحد تحرير أرضنا كلها بالقوة و لن نقبل مشاريع منفصلة للسلام،

حبيت أنقل لكم الموضوع ده علشان تعرفوا إن المشكلة مش سيناء بس، الأميركان واليهود ضربونا في ٦٧ علشان يساومونا بيها على عروبتنا وعلى شرفنا وعلى قوميتنا"

حديث رئيس وزراء إسرائيل ليفى أشكول مع مجلة نيوزويك الأميركية عدد ١٧ في فبراير ١٩٦٩ يؤكد كلام ناصر يقول أشكول: خلال العقدين الأخيرين كررنا دائماً في إسرائيل قولنا بأننا مستعدون لمناقشة مشاكلنا مع ناصر، مازلت مستعداً لأن أطير إلى القاهرة، ولن أتحدث مع ناصر كمنتصر ولكنى سأبلغه أن إسرائيل مستعدة لإعادة سيناء كاملة إلى مصر وبدون أى قيد أو شرط حيث فلم يكن لإسرائيل في أى وقت طلبات من أجل نزع سلاح سيناء، ولكن بالنسبة لمرتفعات الجولان والقدس و الضفة الغربية فإسرائيل ببساطة لن تتنازل عنها، سنرد لناصر سيناء بدون شروط مقابل أن يهتم بشئون مصر ولا يتدخل في شئون الدول العربية الأخرى"

في أحاديثه الإعلامية الأخيرة قبل وفاته كشف الأستاذ هيكل عن تفاصيل العملية المخابراتية (عصفور) في ٦ ديسمبر ١٩٦٩ توجه السيد أمين هويدى مدير المخابرات العامة المصرية الأسبق إلى منزل الرئيس عبد الناصر ومعه تسجيل لحديث دار بين الوزير المفوض الأميركى في سفارة الولايات المتحدة في إسرائيل ومديرة مكتبه مع السفير الأميركى في القاهرة وممثل المخابرات المركزية الأميركية في السفارة الأميركية في القاهرة في عملية مخابراتية نظيفة

استمع الرئيس عبد الناصر إلى الحديث و الذى جاء فيه :

أن عبد الناصر هو العقبة الرئيسية في قيام علاقات طبيعية بين المصريين والإسرائيليين.

وأن هناك حالة من الإلتفاف الشعبى المصرى والعربى حول عبد الناصر تجعل السلام مع إسرائيل بالشروط الأميركية مستحيلاً.

وأن مصر التي كانت من المفترض أنها مهزومة تبدو منتصرة في حين أن إسرائيل التي كان من المفترض أن تبدو منتصرة تبدو مهزومة بسبب حرب الاستنزاف.

وأن سمعة "موشى ديان"أكبر بكثير من إمكانياته الشخصية.

وأن قادة إسرائيل (جولدا مائير، موشى ديان، أهارون ياريف، إيجال أللون) أجمعوا على أن بقاء إسرائيل ونجاح المشروع الأميركى في المنطقة مرهون باختفاء الرئيس جمال عبد الناصر من الحياة وأنهم قرروا إغتياله بالسم أو بالمرض.

أما جولدا مائيررئيسة وزراء العدو فقالت بالنص :

(we will get him) سوف نتخلص منه وإلا فالعالم العربى ضائع وسيخرج من نطاق السيطرة الأميركية،ومستقبل دولة إسرائيل في خطر بالغ

ولشدة خطورة تلك المعلومات فضل هويدي أن يستمع الرئيس عبد الناصر بنفسه للتسجيل كاملاً.

رفض ناصر عقب عقب نكسة ٥يونيو ١٩٦٧ كل عروض السلام الإسرائيلية بعودة سيناء فقط إلى مصر مقابل سلام وصلح منفرد بين مصر وإسرائيل والتخلي عن الأراضي العربية المحتلة، وفى مؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ يغلق باب المساومات أمام الصهاينة فيصرح بكل قوة بلاءاته الثلاث(لا صلح)(لا اعتراف) (لا تفاوض) لتبداء مصر مرحلة جديدة عرفت في التاريخ المصري بحرب الاستنزاف التي استمرت ثلاث سنوات من ١٩٦٧ –

١٩٧٠ هذه الحرب المنسية التي أكدت علي بسالة الجندي المصري واستخرجت له شهادة ميلاد جديدة وبأنه لم يمت ومازال علي قيد الحياة المزعج في تلك الحرب المظلومة ليس في تاريخ ناصر بل في التاريخ المصري عموماً أن هناك بعض الكتاب والأقلام والمؤرخين الغير منصفين تجاهلوها ليلصقوا بناصر هزيمة ١٩٧٦ ويمحو دوره التاريخي والبارز في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

ثم كانت صرخته الشهيرة (ماأخذ بالقوة يجب أن يسترد بالقوة)

فكانت ضربة البداية الغير متوقعة والتي أذهلت العالم وادهشت الشعب المصري وأعادت له الأمل والنهار من جديد معركة رأس العش بعد أقل من شهر بعد نكسة ١٩٦٧ يتمكن عدد محدود من جنود الصاعقة من صد هجوم بعض الدبابات الإسرائيلية وانتهى القتال الذي دام أياماً بإيقاف تقدم القوات الإسرائيلية نحو جنوب بورسعيد، ولم تعاود القوات الإسرائيلية الهجوم عليها أبدا، وظلت رأس العش المنطقة الوحيدة التي لم تدنس بأقدام الاحتلال والقوات الإسرائيلية [١]

بدأت المعركة فى تمام الساعة الثامنة والنصف مساء يوم السبت ١٩٦٧/٧/١ حتى ١٩٦٧/٧/٤ سميت المعركة برأس العش نسبة الي القرية الصغيرة التي تسمي رأس العش التي وقعت فيها أحداث المعركة تقع هذه القرية جنوب بورسعيد بحوالى ١٤كم ويحدها من الشرق والغرب قناة السويس تعتبر معركة رأس العش هي بداية رفع الروح المعنوية للجيش المصري وللشعب المصري لذلك يقف المؤرخون المنصفون عندها طويلاً حيث استطاعت مجموعة من ضباط وجنود رجال الصاعقة على مدى أربعة أيام

---

[١] إبراهيم خليل إبراهيم كتاب وطني حبيبي عن حرب أكتوبر

متواصلة من صد هجوم العدو المدرع بسرية دبابات ومنعتها من التقدم ناحية منطقة (الكرانتينا وبورفؤاد) وكبدت العدو خسائر فادحة فى المعدات والأرواح.

عبر رجال الصاعقة لقناة السويس لمنع تقدم العدو تجاه بورفؤاد ولمنع ارتداده تجاه القنطرة شرق..

كانت المجموعة الأولى بقيادة م. أ. الشهيد جابر الجزار بدأت المجموعة فى التعامل مع العدو المتقدم ناحية بورفؤاد واستمرت المعركة ثلاث ساعات وتم تدمير ثلاثة دبابات + ثلاثة عربات وقتل معظم أفراد العدو.

أسفرت هذه المعركة عن استشهاد الملازم أول الجزار ومعظم أفراد مجموعته ودفع العدو بخمس عربات جنزير محملة بالذخيرة فتصدت لها المجموعة الثانية بقيادة الملازم عبدالوهاب الزهيرى وتم قتل أفرادها والإستيلاء على المركبة والذخيرة وترحيلها غرب القناة.

وفى يوم الأحد ١٩٦٧/٧/٢ حاول العدو التقدم لضرب بورفؤاد فتصدى لهم الملازم أول الزهيرى وتم تدمير ثلاث دبابات وست عربات وتم إيقاف تقدمه تماماً وتم التعامل مع عربة للعدو الإسرائيلى تعطلت فى حقل الألغام وتم تدميرها والحصول على المعدات والوثائق المهمة الموجودة بها.

وفى الخامسة من صباح الثلاثاء ١٩٦٧/٧/٤ تم الاشتباك مع قوات العدو ناحية بورفؤاد وتم تدمير خمس عربات جنزير وانسحب العدو ناحية القنطرة شرق ولم يستطع العدو دخول بورفؤاد[١]

---

(١) عشر معارك للصاعقة من حرب الاستنزاف حتى نصر أكتوبر محمد محمود فايد(بوابة

ليستعيد المقاتل المصري إرادته وصلابته لتصل رسالته للعالم أجمع أن الجيش المصري مصمم علي استرجاع أرضه والأخذ بثأره.

في كتابه الضخم الذى يحمل عنوان (باسم السماءالسرب الأول فى حرب يوم الغفران) للمحاضر والباحث العسكرى الإسرائيلى إفيرام باركاى يتحدث عن معركة رأس العش فيقول

:فى كمين محكم بدأت قوة صغيرة مصرية مزودة بالسلاح الشخصى والقذائف المضادة للدبابات فى إطلاق النار على دورية كانت فى طريقها شمالاً إلى رأس العش فى منطقة المستنقعات الكبرى ، وعند منتصف الليل ومع انتهاء المواجهات التى شهدت إطلاق مدافع الهاون وقذائف الدبابات نجح المصريون فى استعادة بعض من ماء الوجه، وأعطوا مؤشراً للجيش الإسرائيلى أن أحفاد الفراعنة مصممون على بدء اليوم السابع لحرب يونيو"

في الواقع أن فترة ما بين الحربين (حزيران- يونيو٦٧، تشرين الاول- أكتوبر٧٣). والتي استمرت نحو ست سنوات ونصف السنة. كانت فترة كمون وإعداد ثم اختمار وانطلاق نحو القفزة الكبرى.. ونحن نستطيع أن نقدر هذه الفترة حق قدرها في سياق الصراع العام إذا حللناها إلى مراحل تطورية. فهناك أربع مراحل أساسية

(الصمود)
(الردع)
(الاستنزاف)
(وقف اطلاق النار)

أخبار اليوم)

فالصمود من يونيو ٦٧ حتى أغسطس ٦٨" سنة وشهران.. هي مرحلة "الدفاع الحذر" تخللتها معارك رأس العش والمدمرة إيلات وبعض معارك جوية متحدية.

والردع من سبتمبر٦٨ حتى فبراير ٦٩" مدة ستة شهور. هي مرحلة الدفاع النشط " تلخصها معارك المدفعية التي اتصل فيها التراشق بالنيران عبر القناة.. وكان من نتائجها بناء العدو لخط بارليف الأول.

أما مرحلة الاستنزاف من مارس ٦٩ حتى أغسطس ٧٠" مدة سنة ونصف السنة.. فتعد مرحلة " الهجوم الحذر" ففيها تم تدمير خط بارليف ألأول بالمدفعية المكثفة المستمرة طوال شهرين مارس وأبريل ١٩٦٩ ثم توالى عبور الكوماندوز ليلاً ونهارا بقوات متزايدة بلا انقطاع، كما تكررت غارات الضفادع البشرية على موانئ العدو تحرقها وتغرق سفنه فيها، هذا فضلاً عن الغارات والمعارك الجوية المتصاعدة، وذلك كله في وجه غارات العدو المضادة على الجزر المنعزلة والعمق المدني إلى جانب جبهة القناة.

أما المرحلة الرابعة والأخيرة فهي مرحلة وقف إطلاق النار من أغسطس ٧٠ حتى أكتوبر٧٣" مدة ثلاث سنوات وشهران.. وهي فترة اللاحرب واللاسلم (١)

من هذا التصنيف نرى أن فترة ما بين الحربين تكاد أولاً تنتصف ما بين مراحل الدفاع بأشكاله ودرجاته المختلفة ومابين مرحلة اللاحرب واللاسلم "ثلاث سنوات وشهران لكل منهما".. والمراحل الدفاعية الأولى تكاد بدورها تنتصف بين الصمود والردع السلبي في جانب وبين الاستنزاف الإيجابي في

(١) دكتور جمال حمدان في كتاب (السادس من أكتوبر في الاستراتيجية العالمية)

الجانب الآخر.. "حوالي سنة ونصف السنة لكل منهما".. وإذا كان العدو قد تفرغ في مرحلة وقف النارلبناء خط بارليف الثاني وتدعيم وجود في سيناء فقد تفرغت القوات المصرية للتدريب الداخلي النهائي والحاسم وإعادة بنائها وتطويرها للمعركة الكبرى وهكذا ترسم المراحل مجتمعة عملية متنامية متصاعدة تتعاقب وتتكامل في زحف صاعد منتظم من البناء العسكري والاختبار الحربي وكانت كلها بخبراتها وتجاربها ونتائجها مدرسة عملية أخرى بالفعل وتدريبات جزئية مجزأة على معركة التحرير الكبرى في أكتوبر هنا ثبت أن سنوات ما قبل المعركة تلك السنوات " الست" القاسية والصبور لم تكن سدى ففي هذه الفترة أتيح لقواتنا وقياداتها المجال لنوعين أساسيين من التدريب والتجريب

(١) تدريب نموذجي معملي.

(٢) تدريب ميداني واقعي .

فبالتخطيط الثاقب الواعي والإرادة المصرة، جرى التدريب الشاق المثابر العنيد " مايقرب من ٣٠٠تجربة على ماكيت" إقليمي من الحجم الطبيعي وفي لاندسكيب طبيعي اختير بعناية وعن عمد ليكون أقرب شبهاً ببيئة القناة ومسرح القتال سواء تضاريس أرض أو عمق مجرى أو سرعة تيارات علي منطقة من قطاع من ترعة الإسماعيلية حيث أقيم سد ترابي مشابه تماما لسد العدو هي هذا المسرح التدريبي والتجريبي على العبور والاختراق.

كذلك أجريت عملية التدريب أحيانا على قناة السويس نفسها في قطاع يزدوج فيه عملية التدريب أحياناً على قناة السويس نفسها في قطاع يزدوج فيه مجراها.. حيث تتوسط المجرى (جزيرة البلاح) الغربي بينما كانت تسيطر عليه قواتنا سيطرة كاملة وفي مأمن تام من أنظار العدو وأخطاره ولا يظن أحد أن

هذه التجارب والتدريبات حتى كتجارب وتدريبات كانت بالمهمة السهلة ففضلاً عن صعوبات توفير المسرح الملائم بالمواصفات المحددة كانت هناك اعتبارات إمكان استخدام الذخيرة الحية وبإحداث خسائر في الأرواح والممتلكات والمزروعات بل والأرض الزراعية نفسها كذلك ضرورة إقامة ثم هدم الساتر الترابي الصناعي عدة مرات في كل تجربة واحدة ثم تكريك وتطهير المجرى المائي من رديمها بعد تلك المرات وإعادته إلى مكانه على الأرض من جديد مع ما يعني من مضاعفة أحجام مكعبات الردم والتكويم والتكريك عدة أضعاف الحجم الكلي للعملية الحقيقية الواحدة نفسها في ميدان القتال الفعلي.

فتدريب وحدة هندسية واحدة " من ٨٠ وحدة مطلوبة" كان يستدعي تحريك حجم من الأتربة والوحل يعادل ١٢ مرة مثل ما سنقوم بإزاحته فعلاً أثناء المعركة، في حين ترتفع هذه النسبة إلى ١٥ ضعفاً بالنسبة لمجمل العملية كلها تجريباً وتدريباً بهذا كله وبمثله وبغيره كانت العملية قد أصبحت بمثابة الأمر اليومي أو حتى الخبز اليومي بالنسبة للمهاجم المصري المقتحم كل المعدات والأسلحة جاهزة مشونة في أماكنها بالضبط لساعة الصفر وكل فرد يعرف دوره ومكانه ولحظته المحددة، مما حقق ساعة التطبيق نتائج قياسية مذهلة من الكفاءة والاقتدار والنجاح فاقت أعرض أحلام التخطيط نفسه وأشد توقعاته تفاؤلاً[١]

وفي يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر يوليو عام ١٩٦٧ قامت القوات الجوية المصرية بطائراتها المتبقية بغارة ضد المواقع الإسرائيلية قرب القنطرة وفجرت ودمرت تشوينات الأسلحة والذخيرة التي جمعتها إسرائيل من سيناء، ولاحت بوادر استرداد الثقة حينما تمكنت لنشات الصواريخ المصرية

---

[١] كتاب حرب رمضان تأليف حسن البدري وطه المجدوب

قرب بورسعيد في الحادي والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٦٧ من اغراق المدمرة الإسرائيلية (إيلات)والتي كانت تعادل ثلث المدمرات الإسرائيلية الموجودة بالبحر.وتوالت قصفات المدفعية المصرية علي طول مواجهة قناة السويس حتي عشرين كيلو مترا داخل سيناء. وفي عام ١٩٦٨ أصدر الرئيس جمال عبد الناصر القانون رقم ٤ الذي نظم وضع القوات المسلحة ضمن الإطار العام لأجهزة الدولة وحدد بمقتضاه سلطات فعالة لرئيس الجمهورية بوصفه القائد الأعلى، واختصاصات وزير الحربية ورئيس الأركان، وتم إعادة تنظيم المناطق العسكرية لتغطي ارض مصر كلها، وتم علي أساس هذا التنظيم تحويل تنظيم قيادة المنطقة العسكرية الشرقية التي كانت تخضع لها من قبل وحتي عام ١٩٦٧. القوات الموجودة في سيناء، ومنطقة القناة بقيادتين ميدانيتين اقتسمتا الجبهة بالتساوي وهما : الجيش الثاني الذي كلف بالقطاع الشمالي من الجبهة، والجيش الثالث الذي كلف بالقطاع الجنوبي، وأنشئت أيضا قيادة قوات الدفاع الجوي وأصبحت مع أوائل عام ١٩٦٨ م بمثابة القوة الرئيسية الرابعة في القوات المسلحة.

بعد وفاة ناصر يقول هنري كسينجر وزير الخارجية الأميركي الأسبق فى مذكراته :أشعر بسعادة بالغة لنبأ وفاة الرئيس عبد الناصر لأن وجوده بسياسته الراديكالية المعادية للمصالح الأميركية في الشرق الأوسط كان يمثل أكبر عائق لتنفيذ الأهداف الأميركية في المنطقة الأهم للولايات المتحدة في العالم، الوقت أصبح مناسب للوصول لحل سلمى للصراع بين مصروإسرائيل بشرط أن يكون هذا الحل أميركى، وأن يتضمن ثلاثة شروط :

١ طرد النفوذ السوفيتى من المنطقة كلها.

٢ الإبقاء علي مصر ضعيفة غير قادرة على التأثير بأى نفوذ على الإطلاق في العالم العربى.

٣ أن تظهر التجربة الثورية التى قادها ناصر في مظهر التجربة الفاشلة.

أما صدي وفاة ناصر في تل أبيب فقد كان له صدي ووقع مختلف فيقول بن جوريون :(كان لليهود عدوين تاريخيين هما فرعون في القديم، وهتلر في الحديث، ولكن عبد الناصر فاق الأثنين معاً في عدائه لنا، لقد خضنا الحروب من أجل التخلص منه حتى أتى الموت وخلصنا منه).

أما حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى فيقول: (بوفاة جمال عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقاً أمام إسرائيل و عاد العرب فرقاء كما كانوا وسيظلون فلن يحظوا بشخصية قيادية كاريزماتية مثل ناصر).

أما المفكر الإسرائيلى آمنون روبنشتاين فيذهب بالقول: إن مصر يجب آلا تكون طرفا في الصراع العربى الإسرائيلى، إن تورط مصر الكبير في النزاع العربى الإسرائيلى تمخض بصفة خاصة بسبب سياسة جمال عبد الناصر التى كانت تقوم على ركنين أساسيين يعوزهما الحكمة :

١ إمكانية وجود وحدة عربية.

٢ معاداة الغرب

فلم تكن هزيمة ٥يونيو ١٩٦٧ بسبب فشل نظام حكم عبد الناصر بل كانت عقاباً أميركياً على نجاح عبد الناصر في بناء نموذج ثورى اقتصادى

واجتماعي ناجح شكل خطراً جسيما على المشروع الأميركى والصهيونى في الوطن العربي.

فكانت حرب الإستنزاف التى قادها عبد الناصر باقتدار وحنكة هى الخطوة الأولى نحو العبور العظيم.

وبعد رحيل ناصر دخلت مصر حرب أكتوبر وهى محكومة بكل آليات النظام الناصرى القطاع العام الذى يقود التنمية هو الذي دشنه ناصر والجيش المصرى الذي بناه عبد الناصر عقب الهزيمة هو نفس الجيش الذي خاض حرب أكتوبر وحائط الصواريخ الذي حركه عبد الناصر لحافة القناة قبيل وفاته هو الذي حمي مصر وقطع ذراع إسرائيل الطولي هو الذي حمي سماء مصر فيما بعد وخاصة أثناء حرب أكتوبر ،والخطط العسكرية التي وضعها ناصر كانت هي اللبنة والركيزة الأساسية لقادة أكتوبر في حرب أكتوبر وإن طراء عليها بعض التعديلات فهزيمة ١٩٦٧ لم تكن نهاية التاريخ [١]

[١] عبد الناصر وحرب الاستنزاف عمرو صابح